أسانيد نهج البلاغة - ٢ -

حسين السبلاني*

مقدمة:

هو الزمن تغور أيامه، وتتجدد لياليه، وفي كل وقت يبعث مجدد يحافظ على العلوم مخافة أن تندرس، ولقد مرت على الأيام شخصيات كتبت، وأقلام حررت، وعقول حققت، فكان من بينها النوابغ العظام، والأتقياء الكرام، وفي أخرى متطفلين على العلم لا يهتدون لطريق، ولا يتبّصرون سبل النجاة.

وكان على رأس البلغاء والأدباء، والورعين والأتقياء، إمام الفصاحة ومشرعتها، ونهج اللغة ومشربها، سيد الكلام وأميره، وواعظ المنبر وخطيبه، الإمام علي عليه السلام الذي كل من جاء بعده كان من معينه يشرب، ومن نهجه يأخذ، وببلاغته تغنى وطرب.

نعم إنه نهج البلاغة الذي قلَّما تجد كتابا قد وضع في مكتبة، أو نشر على رف، تستطيع من خلاله أن تبصر علوم عدة، فهو متخصص في جانب معين يحاول أن يوضحه، أما إذا وجدت كتابا قد ضم بين دفتيه علوم عدة، بحيث يجد البليغ ضآلته، والأديب مآربه، والعالم حظوته، والباحث غرضه، فإن في ذلك قرة العين، ونوم الوسنان! وبذاك يستحق أن يوصف ذلك الكتاب أنه «**فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، قد اعتنق مرتبة الإعجاز وابتدع أبكار الحقيقة والمجاز**»[1].

نعم هذه حقيقة كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي أذعن لفصاحته وبلاغته أعداؤه، فهذا الجاحظ عثماني الهوى ينقل عن جعفر بن يحي من فصحاء العرب بأنه لقبه بـ «**فصيح قريش**»، بل ذاع صيته حتى عند غير المسلمين فنجد أن الكتّاب المسيحيين قد ألفوا كتبا بحقه، منهم جورج جرداق في كتابه الموسوم بـ «**علي صوت العدالة الإنسانية**»،

*) طالب في حوزة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

١) الخطيب، س. عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٩٨٥، ج١، ص٩١.

والشاعر المسيحي بولس سلامة الذي تيّم في محبته فأنشد شعرا فيه، وطرب جذلانا بشخصيّته.

وقفة مع جامع النهج:

لقد بذل السيد الرضي (رحمه الله) جهدا واسعا من اجل جمع شتات كلام الإمام علي عليه السلام، وتصنيفه وتبويبه ضمن فصول، وهو رمى في ذلك حفظ هذه الخطب من أن تضيع، أو أن يأتي مدع فينسبها إلى نفسه غايته في ذلك الارتقاء إلى العلا، وهل يطال النجم وإن انهمك الطائر في الطيران للوصول إليه؟

وقبل الغوص في تفاصيل البحث لا بد من وقفة نتعرض فيها إلى توثيق علماء الرجال لجامع النهج، والهدف من ذلك يظهر عند الرد على الشبهات التي اتهمت السيد الرضي بأنه نسب النهج إلى الإمام، مع انه المؤلف له، فإذا اتضح صدق السيد وأمانته وورعه، انتفت الشبهة وذهبت أدراج الرياح.

توثيق جامع النهج:

إن أقدم توثيق ورد في حقه للنجاشي عندما قال: «**هو نقيب العلويين في بغداد أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي الموسوي(٣٥٩-٤٠٦هـ) كان شاعرا مبرزا**»[٢]، فقد مدحه بصفة نقيب العلويين وهي صفة تدل على مدى وثاقته ومكانته وأمانته.

كان له مؤلفات عديدة بلغت ١٨ مؤلفا، لو اطلعنا عليها لعرفنا مدى اهتمامه الكبير بالأدب، وقد ذكر النجاشي ١٢ من مؤلفاته منها ما هو متعلق بالقرآن مثل: حقائق التنزيل، كتاب مجاز القرآن، ومنها ما هو مختص بالأئمة مثل كتاب خصائص الأئمة، ومنها ما هو مختص بالأدب مثل كتاب الزيادات في شعر أبي تمام، كتاب الجيد من شعر ابن الحجاج، ونهج البلاغة.

وقد ذكره الثعالبي بقوله «**وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر**»[٣].

إلا أن أشهر مؤلفاته على الإطلاق نهج البلاغة الذي اقترن اسمه به، «**وقد نال من**

٢) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، دار الأضواء، بيروت،ط١، ١٩٨٨، ج٢،ص٣٢٦.

٣) الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن العصر،تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣،ج٣،ص ١٥٥.

الشروح والتعليق قديما وحديثا، ما لم ينله غيره من الكتب البشرية، حتى قاربت المئتي شرحا إلى يوم الناس هذا»[٤].

وقد صرح السيد الرضي عن سبب تسمية ما جمعه بـ «**نهج البلاغة**» فقال: «**ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ «نهج البلاغة»، إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابها، فيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة، وشفاء كل علة، وجلاء كل شبهة...»**[٥].

آراء حول النهج:

بعدما بلغ النهج من الشهرة حدا كبيرا، اندفع الكثير من المنبهرين به أن يعبّروا عن دهشتهم لما يحويه هذا السفر العظيم، ولذلك ننقل بضعا من كلام ذوي الاختصاص حتى لا نرى المشهد من زاوية وحيدة أو جهة فريدة، وأهمية هذا الكلام تظهر بعد قليل عندما نرد على الشبهة الأولى، فالذي يفتتن الناس بكلامه سواء المخالف منهم أم الموافق لايمكن إلا أن يكون سيد الكلام وأميره، ومن يرقى إلى مستوى خطاب الإمام علي عليه السلام؟!.

قال الدكتور زكي مبارك «**إني أعتقد أن النظر في كتاب نهج البلاغة، يورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس، إنه فيض من روح قهار واجه المصاعب بعزائم الأسود**»[٦].

وقد ذكر الإمام محمد عبده كلاما جميلا في مقدمة شرحه للنهج، عبّر فيها عمّا يختلج في صدره من إعجاب لهذا الكتاب الجليل، فقال: «**فكان يُخيّل إلي. أثناء قراءته في كل مقام أن حروباً شنت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة دولة...**

وأن مدبّر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من العبارات الزاهية...

٤) الشريفي، س. عبد الهادي، مجلة المنهاج، عنوان المقال: نهج البلاغة:جمعه،مصادره، ٢٠٠٥، عدد٣٦، ص١٤٦.
٥) نهج البلاغة، شرح ش محمد عبده، مقدمة الشريف الرضي،دار البلاغة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٠، ص٢٣.
٦) عبقرية الشريف الرضي، ص٢٢٤.

وطورا تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة، وأنياب كاشرة، وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور، قد تحفزت للوثاب...

وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا لا يشبه خلقا جسدانيا، فُصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه من غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى... وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الحكمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب... ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»[٧].

قال ابن أبي الحديد: «**إن سطرا واحدا من نهج البلاغة يساوي ألف سطر منه. أي كلام ابن نباتة. بل يزيد ويربى على ذلك... هذا [الفاضل الذي اتفق الناس على أوحد عصره]**»[٨].

أما الجاحظ صاحب كتاب البيان والتبيان الذي هو أحد أركان الأدب الأربعة إلى جانب أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي القالي، قال بحقه عندما قرأ قوله: «**قيمة كل امرىء ما يحسنه**» «**فلو لم نقف من كتابنا هذا إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية، وكأن الله عز وجل ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله**»[٩].

أقلام جمعت كلام الأمير عليه السلام:

لقد حظي القرآن الكريم باعتباره كلام الله سبحانه وتعالى والمصدر الملهم للكثير من الكتابات، اهتماما كبيرا من كتّاب في علوم عدة، فقد كان عرضة للتفسير والترجمة والحفظ، بحيث يجد كل إنسان فيه مأربه وغايته، ففيه البلاغة والفصاحة، والأدب والمعرفة، الدين والعقيدة، الأخلاق ومعرفة الله... وهذا ما كان يشد الكثيرين لقراءته وشرحه.

ولم يحظ كتاب بعد كتاب الله بالاهتمام ذاته سوى نهج البلاغة بحيث بلغت الكتابات

٧) م.س، نهج البلاغة، ص١١-١٣.
٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،لا مكان،ط١، ١٩٥٩،ج ٧، ص٢١٤.
٩) البيان والتبيان،ج٥، ص٢٠٢.

حوله حوالي ٢٠٠ في علوم متعددة، وقد اهتم الناس بحفظ خطبه أشد الاهتمام حتى إنهم وضعوا لهذه الغاية إسماً لكل خطبة منها: الزهراء، القاصعة، الشقشقية وغيرها، بل إن حلاوة كلامه عليه السلام، وشدة بلاغته، وجذالة السبك والفصاحة في خطبه وحكمه، جذبت العديد ليجمعوا كلامه في كتب متعددة، ولذلك فإن الكتابات حول كلام الأمير يمكن أن نقسمها إلى قسمين، قسم ما قبل النهج، وقسم ما بعده.

مؤلفات ما قبل النهج فمنها:

١- خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد لمؤلفه زيد بن وهب الجهني.

٢- خطب أمير المؤمنين عليه السلام عن الأمام الصادق عليه السلام لمؤلفه أبو روح فرج بن فروة بن صدقة.

٣- كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين لأبي عليه السلام مخنف لوط بن يحي.

٤- خطب أمير المؤمنين عليه السلام لإسماعيل بن مهران بن أبي النصر.

٥- خطب علي عليه السلام لإبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري.

٦- خطب أمير المؤمنين عليه السلام براوية الواقدي.

٧- خطب علي عليه السلام وكتبه إلى عماله لأبي الحسن علي بن محمد المدائني. وغير هذه الكتب[١٠].

أما المؤلفات بعد النهج فمنها:

١- دستور معالم الحكم لأبي عبد الله محمد بن سلامة المعروف بالقاضي القضاعي.

٢- كلام علي وخطبه لأبي العباس يعقوب بن أحمد العيمري.

٣- عيون الحكم والمواعظ وذخيرة المتعظ والواعظ للشيخ علي بن محمد بن شاكر المؤدب.

٤- خطب علي بن أبي طالب لأبي موسى محمد بن أبي بكر الأصبهاني. وغير هذه المؤلفات[١١].

هذا وقد ذكر الطهراني في الذريعة أكثر من ١٢٠ شرحا لعلماء الشيعة تولت شرح

١٠) فليراجع، م. س، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ج١، ص٦٦٥١.
١١) راجع، م. ن، ج١، ص٦٦٨٦.

النهج كله أو بعضه[١٢]، ثم بعد ذلك ذكر أسماء الشرّاح من أهل العامة والذي بلغ حوالي ١٥ شرحاً[١٣]، من أهمها شرح ابن أبي الحديد المعتزلي.

وأول من شرح النهج هو السيد علي بن ناصر المعاصر للسيد الرضي، والذي أسماه بـ «**أعلام نهج البلاغة**»[١٤].

طريقة السيد في الجمع:

إن نهج البلاغة عبارة عن مجموعة خطابات قام السيد الرضي رحمه الله بجمعها وتبويبها وتصنيفها، ولم تكن كل كلمات الإمام عليه السلام، فهو جمع ما استهوته نفسه وذوقه في البلاغة، وهذا كان هدفه من الجمع. وقد تضمن الكتاب حوالي٢٤١ خطبة وبعضهم يعتبرها ٢٣٧، و٧٩كتابا ووصية وعهدا، و٤٨٠ كلمة قصيرة[١٥]، في حين يذكر المسعودي بأن «**الناس حفظت من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة ونيف وثمانون خطبة، كان عليه السلام يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا**»[١٦].

على أي حال إن للسيد طريقة معينة في جمعه للنهج جاءت لتخدم هدفه، وقد تحدث عنها في مقدمة الكتاب، وهي تضمنت الخطوات التالية:

١- قام بجمع ما تفرق من كلام الإمام عليه السلام من مصادره الموثوقة، فحذف ما شاء مما اجتمع عنده، وانتقى ما شاء حسب ذوقه وسليقته فابتدأ باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم، وهذا ما قاله:

«**... فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، مفردا لكل صنف من ذلك بابا، ومفضلا فيه أوراقا، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا، ويقع إلي آجلا...**»[١٧].

٢- إن جميع ما ضمه النهج موجود في مصادر سبقته زمانا، ولكنه لم يثبت السند في كتابه ؛ لأنه لم يعتبر نفسه راويا حتى يركز على هذا الجانب، بل كان اهتمامه في الجانب البلاغي والبياني، ولما لم تكن غايته في ما يختاره من كلام الإمام عليه السلام

١٢) راجع،الطهراني، ش. آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة،دار الأضواء، بيروت،ط١٩٨٣،٣،ج١٤، ص ١١٣-١٥٦.
١٣) راجع،م.ن، ن،ج، ص١٥٧- ١٦١.
١٤) راجع،م.س، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ج١، ص٢٠٣-٢٠٤.
١٥) اليحفوفي، ش.سليمان، مجلة رسالة النجف، عنوان المقال: مصادر نهج البلاغة، العدد٦، ٢٠٠٦،لبنان،ص٣٧.
١٦) المسعودي نقلا عن م.س، شرح نهج البلاغة، ج١،ص٥.
١٧) م.س، شرح نهج البلاغة، ص ٢١.

تحقيق سنده، ولا تصحيح روايته، وإنما كان أديبا له حسن أدبي فريد، ولذا قد نجد الكثير مما في النهج في كتب صنفت قبل عصر الشريف الرضي[١٨].

٣- إنه استهدف جمع البليغ من كلام الإمام عليه السلام، ولم يجمع كل ما صدر عنه من محاوراته العادية، وبهذا تميز عمل السيد عن بقية المؤلفات الأخرى التي لم تركز على الهدف البلاغي، بل كان الهدف الجمع فقط دون الانتقاء[١٩].

٤- صنف السيد الرضي كتابه بحسب الفنون النثرية لا بحسب الموضوعات، فابتدأ بالخطب، ثم الرسائل، ثم الحكم، وكان من الممكن أن تضاف إليه أشكال أخرى من فنون النثر، مثل الدعاء والخاطرة، الزيارة والمحاورة إلا أنه أدرجها ضمن الأبواب اللائقة بها بحسب مقياسه الجمالي والبلاغي، وأشدها ملاءمة لغرضه[٢٠].

٥- بناء على الهدف الذي وضعه السيد الرضي، فإنه عندما جمع كلام الإمام عليه السلام لم يذكر خطب كاملة بما هي، بل قسمها إلى مقاطع وأخذ منها ما يريده، وطرح الأجزاء الأخرى، واستفاد منها في أماكن من خلال توزيعها على عدة فصول، ويدرج كل فصل منها في موضع مستقل، كما أنه قد يكرر مقطع معين أكثر من مرة حسب الحاجة.

وهذا ما قاله: «**وربما جاء في أثناء هذا الاختيار، اللفظ المردد، والمعنى المكرر، والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا، فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى، موضوعا في غير موضعه الأول، إما بزيادة مختارة، أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد استظهارا للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام...**»[٢١].

وربما لحسن تنسيق الكلام قد تحسب خطبة واحدة متصلة الأجزاء وهي في الحقيقة قد جمعت من خطب أخرى قد أخذ كل جزء بعنق الآخر بحيث تحسبه قطعة واحدة في السبك والاتزان.

إشكاليات وردود:

ما إن طرح نهج البلاغة لجامعه الشريف الرضي حتى بدأت الشكوك تنتظم، والإشكاليات تفد على الكتاب ومؤلفه، وربما كان واقع هؤلاء أن ينالوا من عظمة

١٨) من أحب المراجعة في ذلك فعليه بالكتب التي مر ذكرها تحت عنوان المؤلفات ما قبل النهج

١٩) راجع، الجلالي، محمد الحسيني، دراسة حول نهج البلاغة،مؤسسة الأعلمي، بيروت،ط١، ٢٠٠١، ص١٩٢.

٢٠) م.س، المنهاج، ص١٤٨.

٢١) م.س، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢.

الكتاب الذي يدلل بشكل واضح على أعلمية الإمام وبالتالي أحقيته بالخلافة، فهم إذا استطاعوا النيل منه وصلوا إلى مرادهم في ضرب أحد أدلة أحقيته، ولكن هذه الحملات الإعلامية كان لها مفعول عكسي بحيث جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، وقامت حملة شعواء للدفاع عن النهج ونسبته للإمام.

إن أول من شكك بنسبة النهج للإمام عليه السلام هو ابن خلكان حيث قال: «**قد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هل هو جمعه . أي الرضي، أم جمع أخيه المرتضى؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي عليه السلام وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه**»[٢٢].

وابن خلّكان عندما صرح بالتشكيك لم يذكر اسم واحد من هؤلاء المشككين، بل اكتفى بهذه الدعوى وعند المراجعة، فإنك تجده أول من رمى النهج بالتشكيك.

وبعد هذا الموقف من ابن خلّكان تبعه كثيرون، شأنهم التقليد الأعمى وعدم التدقيق والتحقيق، بل إن العصبية العمياء قادتهم وراء ذاك المدعي فحشدوا لهذه الدعوى البراهين والأدلة، وسيتبين إن شاء الله بطلان ما جاؤوا ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ**﴾ الرعد: ١٧.

ومن الذين اتبعوا ابن خلكان من قدماء ومحدثين أمثال ابن تيمية في منهاج السنة، والذهبي في ميزان الاعتدال، الذي زعم أن واضع النهج هو السيد المرتضى أخو الرضي. ثم جاء الصفدي في الوافي بالوفيات، واليافعي في مرآة الجنان، ثم تبع هؤلاء من المحدثين أحمد أمين، وأحمد الزيات، وأحمد زكي، ومحمد كرد علي، وجرجي زيدان، ومحمد سيد كيلاني، وغيرهم، ومن المستشرقين أمثال المسيو ديمو مبين، الذي حول أن يغض من قيمة ما نسب إلى الإمام عليه السلام استنادا إلى ما شاع قديما من أن الشريف الرضي هو واضع نهج البلاغة[٢٣].

ومجمل حجج هؤلاء المنكرين تعود إلى أسباب كثيرة، بعضها يتعلق بالسند، وبعضها بالمضمون، ولعل أكثر الشبهات شهرة هي[٢٤]:

١- خلو الكتب الأدبية والتاريخية من أكثر مما في النهج، أو أن أكثره عرض منسوبا في غير النهج لغير الإمام عليه السلام، فغالبية الخطب المعروضة في النهج مرسلة بمعنى أنه لم يذكر السند بين السيد الرضي والإمام عليه السلام، بل اكتفى في نقلها دون ذكر المصدر أو

٢٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لا مكان، لا ط، لا زمان، ج٣، ص٣١٣.
٢٣) راجع، النثر الفني، زكي مبارك،ج٣،ص٣١٣.
٢٤) لمعرفة هذه الشبهات راجع، م.س، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ج١، ص١١٢-١١٤.

إثبات السند، وهذا من شأنه أن يضعف الكتاب ويحشره في عداد المراسيل التي لا يعمل بها إلا إذا اعتضدت بما يقويها من أخبار صحيحة.

٢- طول بعض الخطب والكتب كالقاصعة، والأشباح، وعهد مالك بما لم يك مألوفا في صدر الإسلام، وتعسر حفظها على الرواة.

٣- التعريض بالخلفاء السابقين وبعض الصحابة كما في الخطبة الشقشقية وغيرها، وهذا أمر لا يصح صدوره عن مثل الإمام علي عليه السلام.

٤- ما يظهر في النهج من الإخبار بالمغيبات، وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي عليه السلام ومن كان على شاكلته ممن حضر عهد الرسالة، ورأى نور النبوة.

٥- اصطباغ بعض محتويات النهج بما لا يتلاءم مع عصر الإمام عليه السلام كذكره بعض الألفاظ المحدثة، كلفظة الأزل والكيف والعدم والوجود... واستعمال بعض الألفاظ بمصطلحاتها المنطقية أو الفلسفية كالحد والعلة والمعلول وغيرها، واستعمال الطريقة العددية في شرح المسائل، وفي تقسيم الفضائل أو الرذائل مثل قوله: «**الاستغفار على ستة معان**»، «**الإيمان على أربع دعائم، الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب**»...

٦- عدم ملاءمة أسلوبه لزمن الإمام عليه السلام بما استعمل فيه من الفنون البديعية، كالسجع، والطباق، والتنميق اللفظي ما لم يعهده عصر الإمام عليه السلام ولا عرفه، إلى أمثال ذلك مما انتشر في العصر العباسي.

٧- دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف، وبلوغ النهاية في التدقيق، كوصفه للطاووس والخفاش والجراد والسحاب، والنملة وهذا لم يكن في الصدر الأول ولم يلتفت إليه شعراؤه وأدباؤه، وإنما عرف بعد زمن الترجمات عن الحضارة اليونانية والفارسية.

٨- ما فيه من الحث على الزهد، وذكر الموت، وكره الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام.

الرد:

الشبهة الأولى: إن الشبهة التي أثيرت بخصوص السند يمكن الرد عليها بأكثر من نقطة:

١- إن أغلب خطب النهج ورسائله وحكمه هي من قبيل المطالب المستدل عليها بطريق

منطقي، بعبارة أخرى من قبيل القضايا التي قياساتها معها، ولذلك فهي ليست بحاجة إلى السند؛ لأننا نحتاج إليه في القضايا الشرعية التعبدية، أما بشأن المعارف العقائدية وعظمة القرآن والنبيﷺ والحياة الاجتماعية والآداب فلا يطلب أحد السند الموصل إليها، نعم هذا الإشكال لو تم فإنه يتم في المحور الصغير الذي تعلق ببعض الأحكام التعبدية، ولكن نسبة هذه الأمور لا تساوي عشر ما جاء في النهج[٢٥].

٢- إن اعتمادنا على السند من اجل الاطمئنان بأن هذا المضمون صدر عن الإمامعليه السلام، ولذلك إذا لم يكن هناك طريق آخر غير السند للتأكد من صحة صدور الخبر سقط الخبر عن الحجية ولم يعتنَ به، أما إذا وجد طريق آخر أورثنا الاطمئنان فنلجأ إليه دون إهمال الخبر، ومن ذلك مضمون الخطب، فإنها تستحيل أن تصدر عن إنسان غير المعصوم؛ نظرا لمضامينها العالية والبليغة والتي وقف أمامها أئمة البلاغة والفصاحة عاجزين معبرين عن انبهارهم وإعجابهم ـ كما مر ـ ولذلك وانطلاقا من رصانة الخطب نثق بأنها صادرة عن الإمام كما الصحيفة السجادية الصادرة عن الإمام زين العابدينعليه السلام.

٣- إنَّ كون النهج لغير الإمامعليه السلام ومع ذلك ينسب إليه، يقودنا إلى التشكيك بصدقية السيد الرضي، وقد مر عليك توثيقه من علماء الرجال، وعظمته وأمانته، فلا يمكن أن يكون النهج إلا منسوبا للإمامعليه السلام، هذا مضافا إلى أن كتبا كثيرة ـ مر ذكرها ـ قبل النهج ذكرت كلام الإمامعليه السلام وهذا يدلل على عدم كون مؤلف النهج السيد الرضي ولا أخوه، وبأنه حقيقة هو للإمامعليه السلام.

٤- شهرة الخطب بين الناس بحيث كانوا يحفظون أغلبها تجعلونا بالغنى عن ذكر السند، بحيث مر عليك ما ذكره المسعودي، وقد ذكر ذلك الجاحظ أيضا: «**كانت خطب الإمام عليعليه السلام مدونة ومحفوظة ومشهورة**»[٢٦].

٥- السيد الرضي لعظمته وشموخ شخصيته يستحيل أن يسند هذا الكتاب إلى الإمامعليه السلام ما لم يكن رأى مصادره المعتبرة، ولذلك فهو لا يقول روي عن أمير المؤمنين عليعليه السلام أنه قال كذا، بل اعتاد القول ومن خطبته ومن رسائله، من كلماته القصار، على أن الرضي قد صرّح في تعليقاته على النهج ببعض المصادر وهي:

٢٥) راجع، الشيرازي، ش. ناصر مكارم، نفحات الولاية، مدرسة الإمام علي، قم، ١٤٢٦هـ، ط١، ج١، ٣١-٣٢.
٢٦) البيان والتبيان،ج٣، ص١٠٨.

- البيان والتبيان
- تاريخ الطبري
- الجمل للواقدي
- المغازي لسعيد بن يحي الأموي
- المقامات لأبي جعفر الاسكافي
- المقتضب للمبرد
- حكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام.
- حكاية ثعلب عن ابن الاعرابي
- خبر ضرار الضبائي
- رواية أبي جحيفة
- روايى كميل بن زياد النخعي
- رواية مسعدة بن صدقة
- روايتي نوف البكالى
- ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام من غريب الحديث
- ما وجد بخط هشام بن الكلبي.

بل إنّه صرّح في جملة من مؤلفاته على نسبة النهج للإمام عليه السلام، كما جاء في كتاب حقائق التأويل: «... **ومن أراد أن يعلم برهان ما اشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بـ «نهج البلاغة»، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام**»[٢٧].

٦- إن الالتفات إلى الهدف الذي دفع السيد الرضي لتجميع نهج البلاغة يذهب بالشبهة أدراج الرياح، إذ هو صرح كما أوردنا في مقدمة البحث بأن هدفه الأفكار البلاغية والأدبية، فهو في عمله يعمل عمل الأدبي المولع بالصور البلاغية التي نطق بها سيد البلغاء، وليس فقهيا أو محدثا حتى يطالب بالسند، فإن كتبا بلاغية كثيرة ألفت قبل النهج ولم يطلب أحد السند إلى مؤلفها لشهرتها من جهة، والعمل الأدبي المتمحضة به من جهة أخرى وهاتان الجهتان كافيتان لعدم المطالبة بالسند.

ولتعميم الفائدة وتبيين ضعف هذه الشبهة فإننا نورد كلاما لابن أبي الحديد المعتزلي الذي نقض هذه الشبهة، وأبرز مدى شموليتها ـ لو سلمنا بها ـ حتى تستوعب

٢٧) الشريف الرضي،حقائق التأويل، لا مكان، لا ط، لا تاريخ، دار المهاجر، ج٥، ص١٦٧.

كتب وأعلام المدرسة المشككة في النهج، وهذا الأمر يوضح لنا بأن الشبهات كانت قديمة على النهج، كما أن الدفاع عنه قديما أيضا، وإليك نصه الدفاعي:

«أنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول: لا يخلوا إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا، أو بضعه.

والأول: باطل بالضرورة، لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدثون ـ كلهم أو جلهم – كثيرا منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني: يدل على ما قلناه، لان من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقين، ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبى تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام نفسه وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر! وكذلك حذفوا من شعر أبى نواس كثيرا لما ظهر أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا، ونفسا واحدا، وأسلوبا واحدا، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الألفاظ في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كوسطه، وأوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور.

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا، وبعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به، لأنا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبدا وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا كلام مصنوع، وكذا ما نقل عن

أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والآداب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبيﷺ والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء - فلناصري أمير المؤمنينعليه السلام أن يستعدوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره[٢٨].

الشبهة الثانية: تعذر حفظ بعض الخطب وطول بعضها المليء بالآراء السياسية كعهده لمالك الأشتر، وتتركز الشبهة إذا عرفنا مكانة الأشتر من أمير المؤمنينعليه السلام، وأنه عضده وقائد ميمنته في حرب صفين، فلماذا التطويل والحث على تطبيق القوانين وإنصاف الناس؟ خاصة أن أسلوب الإمامعليه السلام مع غيره من الولاة كان مغايرا، فنجد خطبه القصيرة مع محمد بن أبي بكر، وقيس بن سعد بن عبادة، فإن اختلاف الأسلوب ينبأ باختلاف الشخص القائل.

إن هذا الإشكال يبطل في أدنى تأمل، فإن العرب كانوا مشهورين بذاكرتهم الوقادة، وحافظتهم الباهرة، ولذلك تجدهم يحفظون كل ما يلقى عليهم، وإذا ما ورد هذا الإشكال على خطب الأميرعليه السلام، فإنه يطال كلام رسول اللهصلى الله عليه وآله والصحابة بشكل آكد، على أنه لو تمت عدم حافظتهم لكلامه، فإن المشكلة تقع فيهم، وليس في كلامه.

على انه يمكن أن يلحظ بأن التاريخ يذكر عددا من خطباء العرب وشعرائهم الذين اشتهر عنهم الخطب الطويلة، وفي بعض المقامات الحكم القصيرة، ولم يعب عليهم أحد، وإلى وقتنا الحالي ما زالوا يتغنون بالمعلقات السبعة التي كانت تبلغ الواحدة منهم الألف بيت من الشعر، فكانوا يفردونها بالتمحيص والتحقيق والتعليق والشرح دون أن يخطر على بال أحد أن يضعفها لطولها، أو يطلب إليها سندا، بل أخذوها على محمل اليقين وتعاملوا معها على أنها تنسب حقيقة لقائلها، علما بأن بعضها كان في العصر الجاهلي أي قبل كلام أمير المؤمنينعليه السلام بزمن غير قريب.

على أننا قد أوردنا قبل قليل كلام المسعودي وغيره ممن أوردوا تعلق الناس بخطب الإمامعليه السلام وحفظهم لها.

أما عهده لمالك الأشر فإن الإمام أراد أن يكون عهدا سياسيا، ووثيقة حقوقية، وقانونا إداريا، لبلاد مصر ولواليها ولكل من يأتي بعده، ولذلك نجد أن هذا العهد أصبح أحد مصادر شرعة الأمم المتحدة في عصرنا الحالي.

الشبهة الثالثة: أما القول بعدم نسبة النهج إلى الإمام عليه السلام بسبب تعرضه عليه السلام

٢٨) م.س، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٩.

لبعض الصحابة كما ذهب إليه ابن تيمية والذهبي حيث ذكر الأخير في ميزان الاعتدال: «**ومن طالع كتابه. السيد الرضي. نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام ففيه السب الصراح والحط من السيدين أبي بكر وعمر، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل**»[٢٩]، وهذا القول مبني على عقيدة كل واحد منهما - الذهبي وابن تيمية - بحرمة التعرض للصحابة والقول بعدالتهم. وقبل نقض هذا الرأي لا بد من تعريف معنى الصحابة.

«**كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أدرك الحلم فأسلم، وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ولو ساعة من نهار**»[٣٠]، فهذا التعريف يعتبر الصحابي من عاش في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه ولو ساعة من الزمن، ولقد أثبت بطلان هذه النظرية - عدالة الصحابة - قرآنيا وروائيا وتاريخيا.

أما قرآنياً: فقد ذكر القرآن العديد من الآيات التي تعرضت للصحابة، فمنهم من ابتغى الفتنة ﴿**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ التوبة: ٤٧،

ومنهم من لمز النبي صلى الله عليه وآله في الصدقات ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾ التوبة: ٥٨، ومنهم من آذاه وقال إنه أذن ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ التوبة: ٦١، وغير ذلك من الآيات الكريمة، وقد أفرد القرآن سورة كاملة أسماها بسورة المنافقين.

أما روائياً: فقد جاء العديد من الروايات التي تبيّن مثالب بعض الصحابة، وتؤكد على ارتكابهم الذنوب وانحرافهم عن الطريق السوي، بل بعضهم ارتد عن الإسلام وخطط لقتل النبي كما في غزوة تبوك.

ومن هذه الأحاديث: روى البخاري عن زيد بن ثابت لما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى احد رجع ناس من أصحابه فقالت فرقة منهم: نقتلهم، وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت الآية ﴿**فَمَا**

٢٩) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، مج الثالث، دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ، ج٢، ص١٢٤.

٣٠) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، انتشارات اسماعليان، تهران،لا ط، ج١،ص١٢..

لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ النساء: ٨٨[٣١].

وفي مفردات الراغب أركسهم أي ردهم إلى كفرهم[٣٢]. ففي هذا الحديث دلالة واضحة على انه ليس كل من رأى الرسولﷺ أو صحبه أصبح عادلا لا يرتكب معصية، ولا يقبل النقد، بل هو إنسان عادي له أهواؤه ونزاعاته، وقد يقوده الشيطان إلى الارتداد ومقاتلة النبيﷺ.

أما تاريخيا: فهل قاتل الإمام عليعليه السلام - الذي هو نفس رسول اللهﷺ بشهادة آية المباهلة، والتي تقضي بعصمته وأفضليته على كل الناس - في حروبه الثلاث إلا بعض الصحابة. وهل هجم على داره وأحرق بابه وضرب زوجه - التي اعتبرها رسول اللهﷺ نفسه التي بين جنبيه، ومن أغضباها اغضب الله - إلا بعضهم، وكتب التاريخ ملىء في ذكر مثالبهم وصنائعهم التي يجل أن يفعلها مسلم عادي فكيف بالصحابي؟.

فالإمامعليه السلام في خطبته عاب على بعض الصحابة انشغالهم بأمر الخلافة، ورسول اللهﷺ لم يدفن، بل ذهبوا إلى اغتصاب الخلافة منه، وهم الذين سمعوا النبيﷺ في أكثر من مناسبة يؤكد على أحقية الإمامعليه السلام فيها، فهو في هذا يدافع عن حقه، ويؤكد على عدم عصمة الصحابة.

ثم، إن الإمامعليه السلام قد مدح الصحابة في مكان آخر من النهج، وهذا يدل على أن الإمام لم يتعرّض إلى كل الصحابة، بل إلى الذين أساؤوا للإسلام من خلال التعرض إليه، فهو القائل: «**لقد رأيت أصحاب محمدﷺ فما أرى أحدا منكم يشبههم...**» فهذه الشبهة لا تنهض دليلا على أن النهج ليس من كلام الإمامعليه السلام، وانه من مؤلفات السيد الرضي، فإن هذه الخطبة - أي الشقشقية - قد رويت في أكثر من كتاب قبل أن يثبتها السيد الرضي في النهج، وهذا ما بينه ابن أبي الحديد في شرحه: «**وقد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضا كثيرا منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله موجودا**»[٣٣].

٣١) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٩٨١، استنبول، ج٢، ص٢٢٤.
٣٢) الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، ص٢٠٢.
٣٣) م.س، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٠٥.

الشبهة الرابعة: الإخبار بالغيب كان أحد الأمور التي تمسك بها المشككون للنيل من مقام الإمام عليه السلام وكلامه، ولذلك قاموا بحملة قوية أساسها خصوصية علم الغيب بالله، وإذا أخبر أحد بالغيب لم يقبل كلامه، بل كان محط لتضعيف قوله، وبما أن أحد لا يستطيع أن ينال من الإمام عليه السلام كلمة، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، فوجهوا سهام النقد إلى الكتاب، وقالوا بأنه ليس له؛ لاحتوائه على الإخبار بالمغيبات.

وفي الحقيقة هذه الشبهة لو تمت، لكانت منصبة أيضا على كلام الله تعالى، إذ إنه سبحانه بيّن في كتابه الكثير من المغيبات التي صدرت على ألسنة الأنبياء، فلو كانت هذه مذمة ومنقصة لكان الواجب منه أن يردع عنها، ويشنع على المخبر بها، ومن الآيات التي بينت إخبار الأنبياء بالغيب:

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٤٩

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الصف: ٦.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة: ٣٣

فهذه الآيات لا تنفي علم ثلة من الناس بالغيب، فهم وصلوا إلى مرحلة الاتصال بعالم الغيب ويروون أخباره، وهذه منحة من الله **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** الجن:٢٦-٢٧. وقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام عندما سئل: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين عليه السلام علم الغيب؟ فأجاب عليه السلام: ليس هو بعلم غيب وإنما تعلم من ذي علم.

الشبهة الخامسة: إن اشتمال النهج على بعض الألفاظ الفلسفية والمنطقية مثل الحد والعلية وغيرها كانت مثار الشبهة التي عرضها الزمخشري في كتابه «**أساس البلاغة**» باعتبار أن هذه الألفاظ متأخرة على عصر الإمام عليه السلام، وبالتالي ورودها بالنهج تجعله منسوبا له دون أن يكون كلامه.

وهذا الكلام مردود؛ لأن استعمال ألفاظ العدم والعلية والمعلولية هو استعمال لغوي وليس منطقيا، وإن اتفق فيما بعد استخدام المناطقة لهذه الألفاظ.

ثم، إن لغويين أسبق من الزمخشري مثل صاحب القاموس والمصباح قد ذكروا هذه الألفاظ وشرحوها دون أن يعلقوا عليها بعدم ورودها في ذلك العصر، بل إن إثباتها في النهج دليل قدمها باعتبار إن كلام الأمير عليه السلام مصدر لغوي، تماما كما يستشهد لتصحيح لفظ ما ببيت من الشعر، أو فقرة من نثر[٣٤].

أما التقسيمات العددية فقد كانت محط إشكال لمحمود البستاني في كتابه الروائع، باعتبار أن هذه التقسيمات المتوازنة لم تكن معهودة من ذي قبل، كالاستغفار على ستة معان، والإيمان على أربع دعائم وغير ذلك، وهذه الأمور لم تظهر في الأدب الإسلامي إلا بعد صدور كتاب كليلة ودمنة، فإذا كانت هذه الأمور متأخرة زمانا عن السيد الرضي ساغ لنا الشك.

وهذه الشبهة قائمة على حصر التقسيم العددي بقوم دون قوم، علما بأن هذا الأمر ينجر إليه كل من أراد أن يسرد الأسباب والنتائج فينظّمها في تفكيره مرتبة بالأعداد، وإن لم يذكرها بالأرقام فإن التفكير في إطار الأرقام ليس حصرا على أمة خاصة.

ثم إن موارد استخدام التقسيم العددي قليل، والقرآن قد استخدم العدد كما في قصة النبي موسى عليه السلام **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾** الأعراف: ١٤٢

كما جاءت المواعظ النبوية معتمدة على التقسيم العددي وخاصة الأربعون حديثا، حتى ألف الكثير من الكتب اندرجت تحت اسم الأربعين.

« ومن ذلك يظهر بوضوح الاهتمام بالنظام العددي، بصورة بدائية كان في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم تطور حسب تطور الثقافة حتى العصور المتأخرة ككل الأفكار الإنسانية التي تتطور بتطور الحاجة والضرورة»[٣٥].

الشبهة السادسة: أما شبهة السجع والتنميق في كلام الأمير عليه السلام والتي طرحها أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام عندما قال: «**استوجب هذا الشك أمور ما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف في ذلك العصر كقوله أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير**»[٣٦]، فإنها باطلة عند ملاحظة

٣٤) م.س، المنهاج، ١٦١.
٣٥) م.س، دراسة حول نهج البلاغة، ص٧١.
٣٦) فجر الإسلام، ١٤٩.

القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه وآله، فإن الله سبحانه وتعالى قد استخدم هذا الأسلوب في أكثر من سورة منها: الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة...، فلو كان في هذا الأسلوب عيب لما استخدمه في القرآن المعجزة الذي تحدى به العرب أن يأتوا بعشر سور من مثله.

أما الأحاديث النبوية فهي ملئ من مثل التسجيعات كقوله: «**يا بني عبد المطلب أطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وتهجدوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[٣٧].

أما المطابقة والجناس والتقابل من أنواع البديع فهو كثير في القرآن، وورودها في النهج لا يعني بحال أنه منحول البتة، وتأتي أساليب الإمام عليه السلام منمقة لا تكلف فيها ولا عقد ولا التواء»[٣٨].

والصحيح أن يقال إن الإمام عليه السلام لم يبتدع أسلوبا لم يكن في زمانه، بل استوحاه من القرآن الكريم الذي تتلمذ عليه، وكان مصدر معرفته، فإذا كان من إشكال على كلامه فهو على القرآن آكد.

الشبهة السابعة: إن من الأمور التي تمسكوا بها ليعيبوا على النهج، هو دقة الوصف، فإننا نجد خطبا له عليه السلام في وصف النملة، والخفاش، والطاووس... وهذه الدقة المتناهية المبهرة تجعلنا نشك في كون هذه الخطب للإمام عليه السلام؛ لبساطة العلم في ذلك الوقت، بل إن الشبهة تتأكد عندما يصف الطاووس، فمن المعروف إنه لم يكن موجودا في المدينة، فعندما يصفه الإمام عليه السلام بهذه الدقة تخاله أمامه، أو قد رآه عدة مرات حتى يتمكن من ذلك، والحال أنه لا يوجد في المدينة، فكيف ذلك؟.

والواقع إن الذي يثير هذه الشبهة يريد أن يقارن نفسه بعلي عليه السلام، فإذا كان جاهلا ولم يؤت حظا من العلم بنى حكمه على هذا الأساس، ورمى عليا بالجهل، وفي الواقع غفل هذا المشتبه بأن عليا مدينة العلم، وبأن رسول الله صلى الله عليه وآله علمه ألف باب من العلم، وهو الذي قال عن نفسه أنا القرآن الناطق، فإذا كان القرآن الذي جُمع بين دفتين قد أشار إلى أشياء دقيقة كالبعوضة وما فوقها، فمن باب أولى أن يصرح علي عليه السلام عن مكنون علم حبسه في صدره، وتعلمه من ذي علم، وقد كان هدفه من ذلك بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، لا الوصف بما هو وصف.

٣٧) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة أهل البيت، قم، ط٢، ١٤١٤هـ، ج٢٤، ص٢٨٨.
٣٨) م.س، المنهاج، ص١٦٢.

أما الطاووس ووصفه فإن المشتبه حصر معرفته بالمدينة، ولكنه لو وسّع بصره ومعرفته لتشمل الكوفة لوجد أنها كانت محط وفادة الكثير من الأمور من بلدان متعددة، وقد صرح ابن أبي الحديد في ذلك بقوله:» لم يشاهد أمير المؤمنين عليه السلام؛ الطواويس بالمدينة بل بالكوفة، وكانت يومئذ تجبى لها ثمرات كل شيء، وتأتي إليه هدايا الملوك من الآفاق»[٣٩].

الشبهة الثامنة: إن ذم الدنيا والزهد فيها كان مبدأ إثارة الشبهة عند المشككين الذين زعموا بأن ما جاء في النهج مخالفة للإسلام، وبالتالي فإن النهج ليس من كلام الإمام عليه السلام؛ لأنه مصداق الإسلام، بل هو الإسلام كله.

حتى نجيب عن هذه الشبهة لا بد أولا من تقسيم الدنيا، فالدنيا قسمان: قسم مذموم والآخر ممدوح.

أما الأول فهو الذي تعلق بها الإنسان، فجعلها قبلته، ولها عمله وإخلاصه، فهو في ذلك عبد لها وإلى هذا أشار الله في قوله: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾ الحديد: ٢٠، فالإنسان عندما يحب الأمور الدنيوية ويتعلق بها، يصعب عليه التخلي عنها، أو البذل منها.

أما الثاني: فهو الدنيا الممدوحة التي تطلب لما وراءها، وهي ذاتها التي نهى الإمام عليه السلام عن ذمها «**إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها**»[٤٠].

وهو نفسه - أي الإمام عليه السلام - عندما بلغه خبر عاصم بن زياد الحارثي بأنه ترك أهله ولبس العباءة، وتخلى عن الدنيا، دعاه إليه، فلما رأى ما هو عليه قال: يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تنالها؟ أنت أهون على الله من ذلك، قال: «**يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك؟ قال: ويحك إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره**»[٤١].

٣٩) م.س، سرح نهج البلاغة، ج٩، ص٢٧٠.
٤٠)م. س، شرح نهج البلاغة، مقدمة الشيخ محمد عبده، ج٤، ص٣١.
٤١) م.ن، ج٢، ص١٨٨.

من هنا، إذا تبيّن لنا هذا وعرفنا ما هي الدنيا التي ذمها أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر الناس بتركها وعدم الركون إليها، فلا تكون هذه الدعوى منه محلا للنقض.

أمّا ما جاء في ذكر الموت وغير ذلك، فإن آيات عديدة تحدثت عنه، وسر التحدث عن الموت. سواء في القرآن أو في النهج. عظيم، وحكمته بالغة « فإن من كان ذاكرا للموت مستعدا له يعيش شجاعا لا يرهب سلطانا، ولا يجبن في نزال، ولا يكف عن القتال، كريما لا يحرص على مال، عادلا لا يظلم، بريئا من الحرص والطمع، سالما من الخبث والجشع، صابرا في البأساء والضراء، شاكرا عند الشدة والرخاء لا تزعزعه الشدائد، ولا تثني عزمه الأوابد، عزيزا لا يخزى ولا يذل، عاملا بجد لا يكل ولا يمل...»[٤٢].

خاتمة:

إن نهج البلاغة كسائر الكتب علينا أن نعرف ما هو هدف مؤلفه منه، فإذا كان للأدب والبلاغة لم نحتج إلى ذكر السند، أما إذا كان كتابا حديثيا تأكدنا من قطعية بعض الخطب، وفي بعضها الآخر لا بد من سند وهو مذكور في المصدر الذي بينه السيد الرضي، أو في الكتب التي بينت ذلك مثل موسوعة أسانيد نهج البلاغة ومصادره للسيد عبد الزهراء الخطيب، ودراسة حول نهج البلاغة لمحمد حسين الجلالي، ومدارك نهج البلاغة، فإن في هذه الدراسات كفاية لمن أراد أن يشبع غليله في التعرف على مصادر النهج.

إن نهج البلاغة خالد بخلود الإمام علي عليه السلام وإذا حاول البعض أن يتطاول عليه، فإنه يهدف من ذلك حجز مقعد إلى جانب العظماء، ولكن هيهات أن يبلغ النقد كلامه، وإن تتطاولت الأعناق لبلوغ علاه فإنها ستعود خائبة منكسرة، وما هذه الشائعات والشبهات إلا محاولة فاشلة وواهية، وإن الأيام حطمت وجهها، وبقيت أنت أيها الفصيح بكلامك، البليغ بخطابك، العظيم بمقامك، وهل يرمى بالحجر إلا المثمر من الشجر؟!.

٤٢) م.س، أسانيد نهج البلاغة ومصادره، ج١، ص١٧٧.